

وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ

مناخداق البحث



وَلَيْدُ بْنُ عُمَرَ الشَّوَدِّي

من أخلاق المحسين



الناشر



الرياض - ت ٤٠٢١٦٥٩

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ



صدر الإذن بطبع هذه الرسالة من

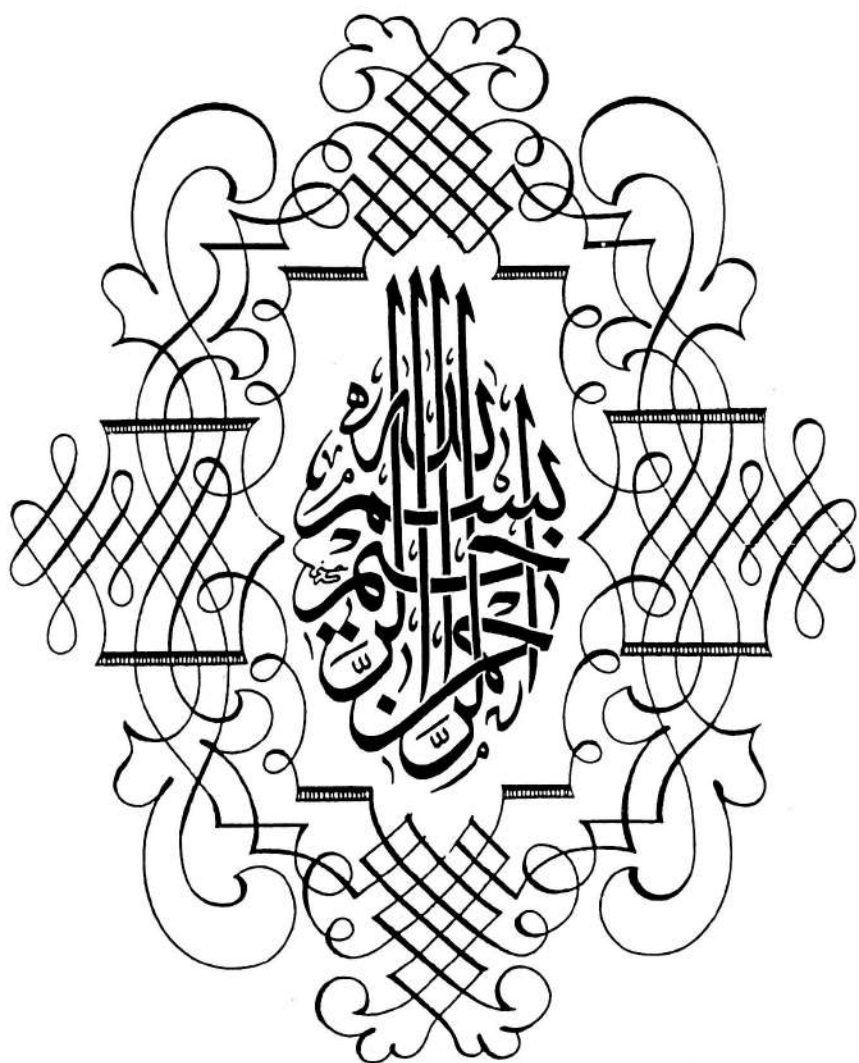
المديرية العامة للمطبوعات بوزارة الإعلام

برقم ٧٨١٣/م في ١٨/١٢/١٤١١ هـ

من الحلاق المحترفين



وليد بن عثمان



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وبعد.. فلقد تواردت موجبات الشرع على أن التحلي بمحاسن الآداب ومكارم الأخلاق والهدى الحسن والسمت الصالح سمة أهل الإسلام. فمن ذلك نعلم أن أهل السنة والجماعة يتميزون بخصائص سلوكية وأخلاقية تمثل تراثاً مضيئاً لهم لا يقل أهمية في ميزان الحق عن ميراث العلم والهدى الذي اختص به الله عز وجل هذه الجماعة، فالنبي، ﷺ، كما بعثه الله بالعلم والهدى والبراهين العقلية والسمعية، فإنه أرسله بالإحسان إلى الناس، والرحمة لهم بلا عوض، وبالصبر على آذاهم، واحتماله، وبالحلم، والكرم.

إن على أهل الاحتساب من الأمر بالعناية بالأخلاق ما لا على غيرهم، فعلى كل امرء أن يحصل آداب أهل

الحسبة وأن يسعى جاهداً مشمراً في اكتسابها وإلا سار
مشرقاً وسارت الحسبة مغربة وكان كما قيل :

سارت مشرقة وسرت مغرباً

شتان بين مشرق ومغرب

إن الاحتساب (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)
سمة أهل الإسلام وعنوان الخيرية لهذه الأمة ﴿كُنْتُمْ

خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ

الْمُنْكَرِ ﴾ وإزالة المنكر واجب على كل من رآه
حسب التدرج الوارد في الحديث.

إن الأخلاق سمة أهل العقل ولا يحسن الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر إلا بالعقل، فمن لا عقل له
لا دين له، ومن لا دين له لا يصلح أن يأمر بالمعروف
وينهى عن المنكر لأن فاقد الشيء لا يعطيه. وأفضل
مواهب الله لعباده العقل ولقد أحسن الذي يقول:

وأفضل قسم الله للمرء عقله

فليس من الخيرات شيء يقاربه

إذا أكمل الرحمن للمرء عقله
فقد كملت أخلاقه ومآربه
يعيش الفتى في الناس بالعقل ، إنه
على العقل يجري علمه وتجاربه
يزيد الفتى في الناس جودة عقله
وإن كان محظوراً عليه مكاسبه

أيها المحتسبون : إن هناك صفات يجب أن نتحلى بها
ونعمل بها لعل الله أن يهدينا الصراط المستقيم ولقد
استقيتها من كلام أهل العلم والعقل لعل الله أن ينفع
بها فهالك بعضها . . أخي الحبيب .
- أولاً : الإخلاص :

إن أعظم الصفات التي يجب أن يتحلى بها
المحتسبون هي صفة الإخلاص لله تعالى وذلك بلزوم
إصلاح السريرة . إن الواجب على العاقل الحازم أن
يعلم أن للعقل شعباً من المأمورات والمزجورات لا بد
له من معرفتها واستعمالها في أوقاتها لمباينة العامة وأوباش

الناس بها. إن أول شعب العقل هو لزوم تقوى الله وإصلاح السريرة لأن من صلح جوانيه أصلح الله برانيه، ومن فسد جوانيه أفسد الله برانيه ولقد أحسن الذي يقول:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل
خلوت ولكن قل عليّ رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعةً
ولا أن ما يخفى عليه يغيب
ألم تر أن اليوم أسرع ذاهب
وأن غداً للناظرين قريب؟
قال مالك بن دينار اتخذ طاعة الله تجارة تأتكَ
الأرباح من غير بضاعة.

فطلب الطاعات للمرء في الدنيا هو إصلاح السرائر وترك إفساد الضمائر، إن الواجب على العاقل الاهتمام بإصلاح سريرته والقيام بحراسة قلبه عند إقباله وإدباره وحركته وسكونه لأن تكدر الأوقات وتنغص اللذات لا يكون إلا عند فساد.

قال مالك بن دينار: «إن القلب إذا لم يكن فيه حزن
خرب كما يخرب البيت إذا لم يكن فيه ساكن، وإن
قلوب الأبرار تغلي بأعمال البر، وإن قلوب الفجار تغلي
بأعمال الفجور، والله يرى همومكم فانظروا ما همومكم؟
رحمكم الله».

وإذا أعلنت امرأة حسناً
فليكن أحسن منه ما تُسر
فمسرُّ الخير . موسوم به
ومسرُّ الشرِّ موسوم بشر

قال عبدالله: «إن لهذه القلوب شهوة وإقبالاً، وإن
لها فترة وإدباراً، فخذوها عند شهوتها وإقبالها ودعوها
عند فترتها وإدبارها».

إن الواجب على العبد المسلم والمحتسب بالخصوص
أن ينطبق عليه اسمه وهو الاحتساب وهو أن يجعل
أجره كله عند ربه لا يريد جزاءً ولا شكوراً
﴿ إِنَّمَا نَطَعُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴾

إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمَ عَبُوسًا قَتَطِيرًا ﴿١٠﴾ ، فمن كان هذا عمله وكان الهدي الصالح سمته وديدنه وجب عليه إخلاص عمله لله وألا يشوبه شائبة ولا يخالطه كدر، بل يُصَفِّي قلبه لله، ولقد تواردت آيات الكتاب الحكيم وسُنة الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم بأهمية هذا الموضوع . . أما الكتاب :

﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾ . ﴿ قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴾ ﴿ ٦٤ ﴾ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿ ٦٥ ﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ .

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ . ﴿ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا ﴾ .

قال ﷺ : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله ، فهجرته

إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه» متفق عليه .
وفي الحديث القدسي: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري، فأنا منه بريء وهو للذي أشرك». وفي الحديث: «من سمع سمع الله به» .

وكذلك الأحاديث العامة في وجوب إخلاص العبادة لله وحده .

وفي الحديث القدسي المذكور قال الألباني: «فلا بد من الإخلاص لله عز وجل في كل عمل»، قال ابن القيم - رحمه الله - : «كما أن الله واحد لا إله سواه فكذلك ينبغي أن تكون العبادة له وحده لا شريك له فكما تفرّد بالالوهية يجب أن يفرد بالعبودية، فالعمل الصالح هو الخالص من الرياء المقيّد بالسُّنة» ١ - هـ .
قال في التيسير: «وهذان ركنَا العمل المتقبل لا بد أن يكون صواباً خالصاً، فالصواب أن يكون على السُّنة وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا ﴾

والخالص أن يخلص من الشرك الجلي والخفي وإليه
بالإشارة بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾
١- هـ.

قال الشيخ بكر أبو زيد لا يوصف العمل من المسلم
بالقبول شرعاً إلا إذا توفر ركناه «الإخلاص والمتابعة»،
فالإخلاص أن يكون لله تعالى لا نصيب لغير الله فيه
متمحصاً من شوب الارادة لغيره فشوب النية يورث
الرياء والشرك وبالجمله إذا اختل ركناه أو أحدهما كان
العمل مردوداً غير مقبول. ١- هـ.

قال ابن القيم في إعلام الموقعين قول عمر: «فمن
خلصت نيته في الحق ولو على نفسه كفاه الله ما بينه
وبين الناس، ومن تزين بما ليس فيه شأنه الله»، هذا
كلام شقيق، كلام النبوة وهو جدير بأن يخرج من
مشكاة المحدث الملهم وهاتان الكلمتان من كنوز العلم
ومن أحسن الإنفاق منهما نفع غيره وانتفع غاية الانتفاع
فأما الكلمة الأولى فهي منبع الخير وأصله والثانية منبع
الشر وفصله فإن العبد إذاخلصت نيته لله تعالى وكان

قصده وهمّه وعمله لوجهه سبحانه كان الله معه فإنه
سبحانه مع الذين اتقوا والذين هم محسنون» ا - هـ .
وصدق من قال :

وإن امرأ لم يَصِفْ لله قلبه
لفي وحشة من كُلِّ نظرة ناظر
وإن امرأ لم يرتحل ببضاعة
إلى داره الأخرى فليس بتاجر
وإن امرأ ابتاع دنيا بدينه

لمنقلب منها بصفقة خاسر
وإن القلب وايم الله لا يستريح حتى يفرغ قلبه
وخاطره لربه فقط، أما إن اشتغل القلب بغير ربه
أصبح في حيرة من أمره، ولذلك لا صفاء للقلب ولا
رقة له إلا بدوام المراقبة وإخلاص العمل لله والعجب
أن تعلم أن هذا الأمر الذي هو غاية في السعادة لا يتم
بالتى هي أحسن، بل هو أعسر العسير وأشدّه ولكن
الشيء مقرون بالمجاهدة .

قال سفيان - رحمه الله - : «عاجلت نيتي عشرين سنة
فما استقامت لي» .

إن على العاقل أن يفتش قلبه في ورود الأوقات
ويكبح نفسه عن جميع المزجورات ويأخذها بالقيام في
أنواع المأمورات ولزوم الانتباه عند ورود الفترة في
الحالات ولا يكون المرء يشاهد ما قلنا قائماً حتى يوجد
منه صحة الثبوت في الأفعال والله در القائل :

وإذا بحثت عن التقي وجدته

رجلاً يصدق قوله بفعال

وإذا اتقى الله امرؤه وأطاعه

فيده بين مكارم ومعال

وعلى التقي إذا تراسخ في التقى

تاجان تاج سكينه وجمال

وإذا تناسبت الرجال فما أرى

نسباً يكون كصالح الأعمال

يا أيها العاقل إنما هي أيام ولحظات ثم تنتقل من دار

الأكدار إلى دار الأموات والقرار فبادر بمجاهدة نفسك

والحجر عليها وإخلاص العمل لله فإن نفسك بمنزله
دابتك إن رأت الجدد منك جدت وإن رأت الإهمال
طمعت فيك وأهلكتك وابشر بالعاقبة الحسنى ، فإن الله
يقول : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ .

يا نفس ما هو إلا صبر أيام
كأن لذاتها أضغاث أحلام

يا نفس جوزي عن الدنيا مبادرة
وخل عنها فإن العيش قُدَّامي
- ثانيًا : المتابعة :

إن الله عز وجل قد منَّ علينا نحن أمة محمد عليه
الصلاة والسلام بنبينا محمد ، ﷺ ، حيث اصطفاه الله
من سائر خلقه ومنَّ الله علينا أن اصطفانا فجعلنا أتباعًا
له بمرتبة وكرمه جلَّ شأنه . وإن هذه نعمة عظيمة
نتحدث بنعمة منَّ الله بها علينا فله الحمد والشكر، ولما
كانت هذه نعمة عظيمة ومنحة كبرى كان لزامًا علينا
شكرها وأعظم شكرها هو متابعة سيدنا محمد عليه
الصلاة والسلام ، وإن لمتابعته الأثر العظيم والمنهج

القويم في الأمة والأجر العظيم في الآخرة حيث علق دخول الجنة بطاعته. قال عليه الصلاة والسلام: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا: ومن أبى يا رسول الله؟ قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى» رواه البخاري.

وإن العمل لا يقبل ولا يلج ملكوت السماء إلا بتحقيقه لشرطين اثنين، الأول: الإخلاص وهو ما سبق ذكره، والثاني: المتابعة وهو ما نحن بصدد.

وإن على العبد كما يخلص دينه لله أن يخلص متابعته لرسول الله، ﷺ، ولقد ذكر رسول الله، ﷺ، أنه لا ضلالة ولا شقاوة ما دما متمسكين بسنته وهديه، فقال: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً، كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض».

أيها المحتسبون: إن رسول الله، ﷺ، تركنا على المحجة البيضاء، التي ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، وإن الأئمة الأعلام لما تعرضوا لشرح شهادة

التوحيد الحق لا إله إلا الله ، محمد رسول الله . قالوا :
إن شطرها الأول إخلاص العبادة لله وشرها الثاني هو
« طاعته ﷺ فيما أمر وتصديقه فيما أخبر واجتناب ما نهى
عنه وزجر وألا يعبد الله إلا بما شرع » ، ولقد ضرب لنا
أبو بكر الصديق أفضل الأمة بعد رسوله مضرًا نفسيًا
في المتابعة لرسول الله ، ﷺ ، وذلك يوم صلح الحديبية
عندما قال عمر : أوعطي الدنيا يا رسول الله ، فقال أبو
بكر : « إنه رسول الله يا عمر فاستمسك بغرزه » .
فأقول أين اليوم المستمسكون بغرزه عليه الصلاة
والسلام .

وإن دليل المتابعة الصادقة الجادة هي ارتسام خطي
السلف الصالح الكرام من الصالحين والتابعين
وتابعيهم أهل القرون المفضلة : « خير الناس قرني ثم
الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » فإن
هؤلاء السلف الكرام هم هداة الحق وهم رواة السُّنة
فلا بد من الاستمسك بغرزه ما لم يخالفوا الهدى
الصحيح باجتهادهم أو لعدم بلوغ الحق لهم .

ولقد حكى شيخ الإسلام - رحمه الله - تعالى كلاماً
جَمِلاً مؤثراً حول المتابعة أنقله لك برمته، قال:
«فبمحمد تبين الكفر من الإيمان، والربح من
الخسران، والهدى من الضلال، والنجاة من الوبال،
والغي من الرشاد، والزيف من السداد وأهل الجنة من
أهل النار والمتقون من الفجار، وإيثار سبيل من أنعم
الله عليهم من النبين والصديقين والشهداء والصالحين
من سبيل المغضوب عليهم والضالين فالنفوس أحوج
إلى معرفة ما جاء به واتباعه منها إلى الطعام والشراب،
فإن هذا إذا فات حصل الموت في الدنيا وذاك إذا فات
حصل العذاب فحق على كل أحد بذل جهده
واستطاعته في معرفة ما جاء به وطاعته إذ هذا طريق
النجاة من العذاب الأليم والسعادة في دار النعيم
والطريق إلى ذلك الرواية والنقل إذ لا يكفي من ذلك
مجرد العقل بل كما أن نور العين لا يرى إلا مع ظهور
نور قدامه، فكذلك نور العقل لا يستهدي إلا إذا
طلعت شمس الرسالة عليه، فلهذا كان تبليغ الدين

من أعظم فرائض الإسلام. وكان معرفة ما أمر الله به
ورسوله واجباً على جميع الأنام» ١ - هـ.

قال ابن فارس في كتابه القيم: «أوجز السير لخير
البشر»، «هذا ذكر ما يحق على المرء المسلم حفظه وتجب
على ذي الدين معرفته من نسب رسول الله، ﷺ،
ومولده ومنشأه. ومبعثه وذكر أحواله في مغازيه ومعرفة
أسماء ولده وعمومته وأزواجه فإن للعارف بذلك رتبة
تعلو رتبة من جهله كما أن العلم به حلاوة في الصدر ولم
تعمر مجالس الخير بعد كتاب الله بأحسن من أخبار
رسول الله، ﷺ» ١ - هـ.

وقال ابن القيم: «ومن هاهنا تعلم اضطرار العباد
فوق كل ضرورة إلى معرفة الرسول وما جاء به وتصديقه
فيما أخبر به وطاعته فيما أمر به فإنه لا سبيل إلى السعادة
والصلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدي
الرُّسل ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على
التفصيل إلا من جهتهم ولا ينال رضا الله البتة إلا على
أيديهم، فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس

إلا هديهم وما جاؤوا به فهم الميزان الراجح الذي على أخلاقهم وأعمالهم توزن الأقوال والأخلاق والأعمال، وبمبعثهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال، فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه والعين إلى نورها والروح إلى حياتها، فأبي ضرورة وحاجة فرضت فضرورة العبد وحاجته إلى الرُّسل فوقها بكثير وما ظنك بمن إذا غاب عنك هديه وما جاء به طرفة عين فسد قلبك وصار كالحوت إذا فارقه الماء ووضع في القلاة، فحال العبد عند مفارقة قلبه لما جاء به الرُّسل كهذه الحال بل أعظم ولكن لا يحس بهذا إلا قلب حي وما لجرح بميت إيلام .

وإذا كانت سعادة العبد في الدارين معلّقة بهدي النبي، ﷺ ، فيجب على كل من نصح نفسه وأحب نجاتها وسعادتها أن يعرف من هديه وسيرته وشأنه ما يخرج به عن الجاهلين به ويدخل به في عداد أتباعه وشيعته وحزبه والناس في هذا بين مستقل ومستكثر ومحروم والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل

العظيم» . ١ - هـ .

وقال في موضع آخر-المدارج ج ٢ ص ٣٨٧:-

«فهما توحيدان لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما: توحيد المرسل وتوحيد متابعة الرسول، فلا يحاكم إلى غيره ولا يرضى بحكم غيره ولا يقف تنفيذ أمره وتصديق خبره على عرضه على قول شيخه وإمامه وذوي مذهبه وطائفته ومن يعظمه فإن أذنوا له نفذه وقبل خبره وإلا فإن طلب السلامة أعرض عن أمره وخبره وفوضه إليهم وإلا حرفه عن مواضعه وسمى تحريفه تأويلاً وحملًا فقال نؤوله ونحمله فلأن يلقي العبد ربه بكل ذنب على الإطلاق ما خلا الشرك بالله خير له من أن يلقاه بهذه الحال» . ١ - هـ .

وقال ابن القيم - رحمه الله - المدارج هـ ٢ ص ٣٨٧- «وأما الأدب مع الرسول، فالقرآن مملؤ به فرأس الأدب معه كمال التسليم له والانقياد لأمره وتلقى خبره بالقبول والتصديق دون أن يحمله معارضه خيال باطل يسميه معقولاً أو يحمله شبهة أو شكاً أو تقدم عليه آراء

الرجال وزبالات أذهانهم فيوحده بالتحكيم والتسليم
والإنقياد والإذعان كما وحد المرسل سبحانه وتعالى
بالعبادة والخضوع والإنابة والتوكل» ١ - هـ .



- ثالثاً الصدق :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ

الصَّٰدِقِينَ﴾. إن الصدق ليس محصوراً فقط في اللسان والمنطق، إن الصدق كلمة أوسع وأوسع من أن تقرن باللسان فقط، إنها كلمة جامعة تدخل في جميع نواحي الحياة المتعلقة بالإنسان فلا بد من الصدق مع الله والصدق مع رسوله والصدق مع خلقه وأخيراً الصدق مع نفسك.

- أولاً الصدق مع الله :

إن الصدق مع الله يقتضي الصدق في جميع الحالات التي يتعلق بها الإيمان فلا بد من صدق القلب مع الله بأن لا يلتفت لغير الله وألا يصرف العبادة لغير الله وألا يخاف إلا الله وألا يرجو إلا الله، وأضرب مثلاً على ذلك في درجات إنكار المنكر حينما درج الرسول، ﷺ، إنكار المنكر جعل آخره فإن لم تستطع فبقلبك وذلك أضعف

الإيمان . فإن تركه هنا يقتضي الصدق مع الله ترك هذا الشيء كراهية له لبغض الله لهذا الشيء ويقتضي ذلك المفارقة مباشرة لذلك العمل وأهله .

أما اللسان فهو ألا ينطق إلا حقًا وألا يقول إلا صدقًا وعدلاً ، «عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة ، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقًا ، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار ، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابًا» . . متفق عليه من حديث ابن مسعود .

قال أبو حاتم : إن الله جلّ وعلا فضل اللسان على سائر الجوارح ورفع درجته وأبان فضيلته بأن أنطقه من بين سائر الجوارح بتوحيده فلا يجب للعاقل أن يعود آلة خلقها الله للنطق بتوحيده بالكذب بل يجب عليه المداومة برعايته بلزوم الصدق وما يعود عليه نفعه في داريه ، لأن اللسان يقتضي ما عود إن صدقًا فصدقًا ، وإن كذبًا فكذبًا . ولقد أحسن الذي يقول :

عوْدَ لسانك قول الخير تحظ به
إن اللسان لما عوْدَت معتاد
موكَّل بتقاضي ما سننت له
فاختر لنفسك وانظر كيف ترتاد

قال الفضيل بن عياض : «ما من مضغة أحب إلى
الله من لسان صدوق، وما من مضغة أبغض إلى الله
من لسان كذوب» .

وإذا الأمور تزاجت
فالصدق أكرمها نتاجا
الصدق يعقد فوق رأ
س حليفه بالصدق تاجا
والصدق يقدح زنده
في كل ناحية سراجا

أيها العاقل اللبيب إن الصدق يرفع المرء في الدارين
كما أن الكذب يهوي به في الحالين .
أما في الأعمال والجوارح فهو الثالث :

فإنه لا بد من الصدق في الأعمال بأن توفي حقها ولا ينقص قدرها وأن يرام وصلها وأن يغذي جذرها حتى تقوم على سوقها. فأی عمل من الأعمال الشرعية لا بد أن يتوّج بتاج الصدق مع الله وهو عين المراقبة، فمثلاً الصلاة أن توفيهها حقها من الأركان والواجبات والسُنن، أن تبدأها بالرواتب وأن تختمها بالوتر، والصيام والزكاة والحج كل ذلك ومن أعلاه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن توفيه حقه حتى تنال الخير المطلق على ضوء أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك. أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر كأنك ترى الله فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وفي النسائي وغيره أن عبد الله بن سعد بن أبي السرح قد أهدر رسول الله، ﷺ، دمه حتى أوقفه عثمان على رسول الله، ﷺ، فقال يا نبي الله بايع عبد الله فرفع رسول الله، ﷺ، رأسه فنظر إليه ثلاثاً كل ذلك يأبى أن يبايعه ثم بايعه بعد الثلاث ثم أقبل رسول الله، ﷺ، على أصحابه فقال: «أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حيث رأني كففت يدي

عن بيعته فيقتله» . فقالوا: ما ندري يا رسول الله ما في نفسك ألا أومأت إلينا بعينك. قال عليه الصلاة والسلام: «إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين». قال الشيخ سلمان العودة: «إلى هذا الحد كان مدى الصدق في أعمال النبي، ﷺ، لم يرض أن يقتل عدوه اللدود الذي كان أهدر دمه بطريقة غامضة عن طريق الإيحاء بطرف العين!! إلى أن قال: لقد سرى صدق رسول الله من القلب إلى اللسان إلى الجوارح وتجلى على محيا وجهه الكريم فكل من نظر إلى طلعه واشراقها وصفائها قرأ فيها الصدق وعرف أن وجهه ليس بوجه كذاب!». ١ - هـ.

أيها المحتسبون: إننا بحاجة إلى نمط من المحتسبين آثروا الصدق في أقوالهم وأفعالهم حتى أصبح الصدق سجية تجري في عروقهم وتطل من طلعات وجوههم فإذا رأهم الناس قالوا: هذه ليست بوجوه كذابين إنما هي وجوه أناس محتسبين صادقين، نحن بحاجة إلى المحتسب الذي يتحلى بالخلق الكريم ويتأب على

الإثارة والاستفزاز فيحفظ بهدوئه واعتدال منطقه في
سائر الأحوال حتى إذا أبصر الناس منه هذا هتفوا:
هذه أخلاق أنبياء.

- ثانيًا: الصدق مع الرسول:

إن الصدق مع الرسول ﷺ عنوانه هو التسليم المطلق
لجميع ما جاء به الرسول والعمل به من غير مرية ولا
تردد، إن الصدق مع الرسول هو إحياء سُنَّته بعد
إماتتها وارتسام نهجه وسلوكه في كل صغير وكبير وكان
خلقه القرآن، إن الصدق مع الرسول هو كمال التسليم
له والانقياد لأمره وتلقي خبره بالقبول والتصديق دون
أن يحمله معارضة خيال باطل يسميه معقولاً أو يحمله
شبهًا أو شكًا أو يقدم عليه آراء الرجال وزبالات
أذهانهم فيوحده بالتحكيم والتسليم والانقياد والاذعان
كما وُحِّد المرسل سبحانه وتعالى بالعبادة والخضوع والذل
والإنابة والتوكل.

إن الصدق مع الرسول ﷺ يقتضي عدم التقديم بين

يديه عليه الصلاة والسلام حيًا وميتًا فلأن كان رفع الصوت عند الرسول يوشك أن يحبط العمل ، فكيف بتقديم آراء الرجال والأهواء والشهوات على شرعه ومنهاجه وهديه عليه الصلاة والسلام .

- ثالثاً : الصدق مع النفس :

ما من خصلة رديئة بعد الشرك تحيط بالعبد مثل الكذب ، كل شيء يستعار ليتجمل به سهل وجوده ، خلاف اللسان فإنه لا ينبىء إلا عما عوّد ، والصدق ينجي ، والكذب يردي ، ومن غلب لسانه أمره قومه ، ومن أكثر من الكذب لم يترك لنفسه شيئاً يصدق به ولا يكذب إلا من هانت عليه نفسه .

كذبت ومن يكذب فإن جزاءه

إذا ما أتى بالصدق أن لا يُصدقا

إذا عرف الكذاب بالكذب لم يزل

لدى الناس كذاباً ، وإن كان صادقاً

ومن آفة الكذاب نسيان كذبه

وتلقاه إذا فقه إذا كان حاذقاً

اللسان سبع عقور إن ضبطه صاحبه سلم، وإن خلى عنه عقره وبفمه يفتضح الكذوب، فالعاقل لا يشتغل بالخوض فيما لا يعلم فيتهم فيما يعلم لأن رأس الذنوب الكذب وهو يبدىء الفضائح ويكتم المحاسن، ولا يجب على المرء إذا سمع شيئاً يعيبه أن يحدث به لأن من حدث عن كل شيء أزرى برأيه وأفسد صدقه، عن عبدالله قال: «حسب المؤمن من الكذب أن يحدث بكل ما سمع»

- رابعاً: السحاحة

السحاحة في الإسلام تتجلى في كل أمر من أوامره ونواهيه دقيقها وجليلها، فكانت بحق بعثاً جديداً للقيم في جوهرها، وكل مسالكها ودروبها ونظمها. لم تكن السحاحة في الإسلام يوماً طلاء ذهبياً ليتهافت الناس على سراب بقيعه يحسبه الظمان ماء حتى إذا

جاءه لم يجده شيئاً، بل إن السماحة في الإسلام أكبر من مفهوم الإنسانية الذي رفعته مؤسسات وجمعيات جاهلية معاصرة وخدعت ببهرج القول وزخرفته شعوباً وقبائل، لأن السماحة في الإسلام تتسع حتى تشمل الحيوان والنبات وتقرر أن علاقة المسلم بغيره من الخلق والمودة والرحمة حتى في القتل والذبح .

قال ﷺ : «إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحداكم شفرته وليرح ذبيحته» .

والسماحة في الإسلام أعمق من مفهوم الإنسانية المعاصرة وأنها تتجاوز المظاهر والمرئيات إلى اللباب وسرائر النفوس والسماحة في الإسلام أخلد من مفهوم الإنسانية المعاصرة التي تنتهي بانقضاء الجنس البشري على هذه الأرض بيد أن السماحة تصل المسلم بالآخرة وحيث يخلد برحمة من ربه في جنات النعيم ويرث الفردوس الأعلى بقدر سهامه في السماحة .

ما هي السماحة؟ .

- هي : طيب في النفس عن كرم وسخاء .
انشرح في الصدر عن نقاء وتقى .
لين في الجانب عن سهولة ويسر .
طلاقة في الوجه عن بشاشة .
ذلة على المؤمنين دون هوان .
مساهمة في التعامل دون غبن وغرر .
تيسير في الدعوة إلى الله دون مجاملة ومداهنة .
انقياد لدين الله سبحانه وتعالى دون حرج وتوان .
- وهي :

* لباب الإسلام .

* أفضل الإيمان .

* ذروة سنام الأخلاق .

قال رسول الله ، ﷺ ، : «خير الناس ذو القلب
المحموم، واللسان الصادق، قيل : ما القلب المحموم؟
قال : هو التقي النقي الذي لا إثم فيه ولا بغي ولا
حسد . قيل : فمن على أثره؟ قال : الذي يشنأ الدنيا
ويحب الآخرة . قيل : فمن على أثره؟ قال : مؤمن في

خلق حسن» رواه ابن ماجة بإسناد صحيح صحيح
الجامع ٣٢٨٦ - .

- السباحة بالاحتمال :

وهي من أنفع أبواب السباحة ، ولا يقدر عليها إلا
النفوس الكبار ، فمن صعب عليه السباحة في المال ،
فعليه بهذا الكرم والسخاء فإنه يجتني ثمرة عواقبه
الحميدة في الدنيا قبل الآخرة . قال تعالى : ﴿ أَذِلَّةٌ عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي جانبهم لين هين على اخوانهم المؤمنين ولم
يرد الهوان .

وقال تعالى : ﴿ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

﴿ ٢١٥ ﴾ . أي كُن لِينًا . ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ ﴾

لَأَنْفَضُوهُ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ . قال النبي ، ﷺ ، : «المؤمنون

هينون لينون مثل الجمل الأنف الذي إن قيد انقاد ،
وإن سيق انساق ، وإن أنخته على صخرة استناخ» .

شبه النبي ، ﷺ ، المؤمنين بالجمل الأنف ، أي الذلول
الذي لا يمتنع عن قائده في شيء للوجع الذي به فهو
يحمل ليس مهلاً وبلادة ، ولكنه كرم وحسن خلق

وسخاء لأن المؤمن حر كريم والفاجر خب لثيم كما قاله
الرسول الكريم ﷺ .

ولقد تمثل هذه الخلق سيد الخلق ، فلقد كان
كاجمل الأنف حيثما قيد انقاد ، عن أنس رضي الله عنه
قال : «إن كانت الأمة من إماء المدينة لتأخذ بيد النبي ،
ﷺ ، فتنتطلق به حيث شاءت» . . رواه البخاري
تعليقًا . قال الحافظ بن حجر : «والمقصود من الأخذ
باليد لازمه وهو الرفق والانقياد والتعبير بالأخذ باليد
إشارة إلى غلبة التصرف حتى لو كانت حاجتها خارج
المدينة والتمست منه مساعدتها في تلك الحاجة لمساعد
على ذلك وهذا دال على مزيد تواضعه وبراءته من جميع
أنواع الكبر ﷺ» ١ - هـ .

- فضائل السماحة :

السماحة من مكفرات السيئات ، قال الرسول ،
ﷺ ، : «تلقت الملائكة روح رجل ممن كان قبلكم
فقالوا أعملت من خير شيئا؟ قال : كنت آمر فتياني أن

ينظروا المعسر ويتجاوزوا الموسر، قال الله سبحانه وتعالى: (فتجاوزا عنه)».

السماحة سبب للرحمة: قال الرسول، ﷺ، : «رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتفى».

السماحة منجاة من كرب يوم القيامة: قال الرسول، ﷺ، : «من انظر معسراً ووضع له أنجاه الله من كرب يوم القيامة».

وقال، ﷺ، : «من انظر معسراً ووضع عنه أظله الله يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله»..

السماحة تحرم صاحبها على النار: قال الرسول، ﷺ، : «من كان سهلاً هيناً ليناً حرّمه الله على النار».

وقال: «ألا أخبركم بمن تحرم عليه النار غداً على كل لين قريب سهل».

ولكن ما موقع السماحة من المحتسب، هل موقعه مع أهل الاجرام والمنكرات والأهواء؟ لا وألف لا، بل هؤلاء لهم الفظاظة والغلظة وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين، إنما السماحة موقعها من المحتسب فما يكون له

شخصيا في حق من حقوقه وليس في حق من حقوق الله تعالى، السماحة في الدعوة إلى الخير، سمحاته مع جماعة مسجده وجيرانه حتى يكون قدوة صالحة، أما أن يكون العكس أن يكون سمحاً مع المجرمين فظاً غليظ القلب مع اخوانه المحتسين، فهذا هو عين الجهل وفعل الجاهلين ولا بد من معرفة أمور تعين على السماحة.

ـ أولاً: كظم الغيظ:

اعلم أيها المحتسب ان السماحة طيب في النفس وانشراح في الصدر لا عن كظم وضيق ومصابرة وهي دليل على صلاح القلب والسر والباطن بيد أن السماحة لا تنال إلا على جسر الكظم والمصابرة، فإذا تمكن العبد من المرور على متنه أفضى إلى أحواض السماحة بعون الله وتوفيقه.. قال تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ...﴾ قال الرسول ﷺ، : «من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق حتى يخيره من أي

الحوار العين فيزوجه منها ما شاء». وأخيراً اسمع الوصية النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم «لا تغضب، لا تغضب، لا تغضب».

ثانياً: العفو والصفح:

إنك إذا ما أردت أن تصلح ما بين اثنين فقلت لأحدهما: سامح أخاك، أجابك وعلى الفور إنه أخطأ معي إنه ظلمني فكيف أسامحه، وعندئذ تعتري العاقل الحيرة وتتملكه الدهشة أليست المسامحة إنما وجدت دواء لخطأ الآخرين وأن المسامحة والتسامح لا تطلب من فراغ إنما تعني كلمة التسامح خطأ وظلم من طرف وغفران وعفو وصفح من الطرف الآخر، فهذه المعادلة المتبادلة تسمى تسامحاً ومع ذلك يصر المسلمون على عدم إدراك هذا المعنى وعدم تطبيقه، قال الرسول ﷺ، «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه».



. ثالثاً: رجاء ما عند الله وحسن الظن به:

إن الفرق بين المسلمين وغيرهم هو التعلق بالآخرة واحتساب الأجر عند الله تعالى ، فمتى علم العبد عظم الأجر عند العفو والتسامح فوض الأمر لله ومن ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه . وصدق من قال :

لولا التعلق بالرجاء
تقطعت نفس المحب تحسراً وتمزقاً
وكذلك لولا برده بحرارة الـ
أكباد ذابت بالحجاب تحرقاً
أىكون قط حليف حب لا يرى
برجائه لحبيبه متعلقاً
أم كلما قويت محبته له
قوي الرجاء فزاد فيه تشوقاً
لولا الرجاء لجدوا المطي لما مرت
بحمولها لديارهم ترجو اللقا

• رابعاً: الصبر:

الصبر قرين اليقين وبهما تنال الإمامة في الدين
﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا
بِعَايِنَتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ . كذا قال أئمة الدين كسفيان وابن
تيمية .

أيها المحتسب الكريم: إن الصبر من أعظم منازل
إِيَّاكَ نعبد وإِيَّاكَ نستعين، قال الإمام أحمد - رحمه الله -
«الصبر في القرآن في نحو تسعين موضعاً». وهو واجب
بإجماع الأمة وهو نصف الإيمان، فإن الإيما نصفان
نصف صبر ونصف شكر. وهو حبس النفس عن الجزع
والتسخط وحبس اللسان عن الشكوى وحبس الجوارح
عن التشويش.

أيها المحتسب الكريم: إن طريق الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر ليس مفروضاً بالورود ولا محاطاً
بالأزهار والأطياب بل هو مقرون بالابتلاء وطريقه مليئة
بالعوائق.

﴿ يَنْبَغِي أَقِيمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ ﴾ (١٧) . . . إن الذي لا يصبر فإنه من السهل أن ينخلع عن دينه لأي شيء يعترض طريقه . ومن السهل أن يتخلى عن منهجه وحكمته لأي استفزاز ، ولذلك قال الله تعالى لنبيه : ﴿ فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ (١٦) ، وقال : ﴿ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَأَهْجُرْهُمْ

هَجْرًا جَمِيلًا ﴾ . إن كثيراً من الضالين يقفون في وجه الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر يقولون لهم إن عملكم هذا لا يواكب المجتمع والحضارة ولا يليق بهذا العصر المليء بالمتناقضات ، أنتم تريدون الناس يعودون إلى أمور عفا عليها الزمن ونسيها الناس أو كادوا فينبغي أن ترضوا بما هو دون ذلك وأن تراجعوا آراءكم واجتهاداتكم ! هذا في مجال المقال أما الحال والواقع فهو أدهى وأمر حينما ينكر المحتسب منكراً ثم يرى صاحبه يعود إليه فهنا تصيبه الحرقه واللوعة وأمام ضغوط الواقع القائم وأمام العقبات الحقيقية والضغوط النفسية

ونخذلان المجتمع قد يراجع المحتسب نفسه في فهم
إسلامه وفيما يقوله ويفعله خصومه وليته يفعل ذلك بحثا
عن الحق والعمل به بل هزيمة وضعفا ولكن رغم هذا
حذار ثم حذار من صنيع الشيطان وأعوانه .
أيها المحتسب إن ضغوط الواقع ليس لها علاج مثل
الصبر فإن الصبر مفتاح الفرج «واعلم ان الفرج مع
الصبر» والصبر قائد الأمل .

اعل النفس بالآمال أرقبها
ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل

أيها المحتسب الكريم : حينما ترى نفسك في مأزق
من الأمر وأنت لا تستطيع الصبر في موقع من مواقع
عملك وان صبرك ينفذ فيه فابحث لك عن موضع
آخر فإن الساحة فارغة بحاجة إلى مثلك ..
إذا لم تستطع شيئا فدعه

وجاوزه إلى ما تستطيع

وقال الآخر:

وَقُلْ مِنْ جَدِّ فِي شَيْءٍ يُحَاوِلُهُ

فاستصحب الصبر إلا فاز بالظفر

أيها المحتسب الكريم: إن نصر الإسلام ليس معلق
في رقبته وحدك ولست مطالباً بتحقيق النصر للإسلام
فهذا أمره إلى الله متى شاء أن يحدث حدث، لكنك
مطالب ببذل جهدك في هذا السبيل فحسب، والرسول
والأنبياء كانوا يخاطبون بذلك: ﴿فَاتِّمَّا عَلَيْكَ
الْبَلَّغُ﴾، وكانوا يقولون: ﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَّغُ
الْمُبِينُ﴾.

وقد يئس المحتسب من عدم رؤيته لنتاج عمله
ولعدم قطفه لثمرة جهده ولكن ليعلم المحتسب أن هذا
لا بد له أيضاً من الصبر قد يأتي الشيطان فيزيّن
للمحتسب ترك أمره بالمعروف ويقول له: إنك تتعب
نفسك وتجهدها وهناك وسائل أفساد أقوى منك
وأعتى:

ومتى يبلغ البنيان يوماً تمامه

إذا كنت تبني وغيرك يهدم

فهنا يأتي دور الصبر الجميل وهو الذي لا تسخط معه ولا شكوى، عن خباب بن الأرت قال: أتيت النبي، ﷺ، وهو متوسد بردة وهو في ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة فقلت يا رسول الله ألا تدعو لنا؟ ألا تستنصر لنا؟ فقعد النبي وهو محمر وجهه وقال: «لقد كان من قبلكم يُمشط بمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشقه باثنين ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون».

كم نسمع من بعض المحتسبين حينما يضايق ويحل به الكرب أنه سوف يبادر للاستقالة وتركه للعمل وذلك بحجة أنه لم يعد له دور ولم يقدر قدره ولم يعط قيمته في المجتمع وأنه لا يرى نفعاً في عمله ثم يتركه ظاناً أنه ليس له أثر فلما تخلّى بان فقدته وظهرت مكانته فكان كما قيل:

سيذكرني قومي إذا جد جد هم

وفي الليلة الظلماء يفقد البدر

وكان كالسعي وهو مثل يضرب به في الندم فعليك

يا أخي المحتسب يا زينة الأرض ويا سبباً من أسباب

بقائها وحفظها من العذاب ألا تستعجل ، فإن العجلة

من الشيطان والتؤدة صفة من صفات عباد الرحمن .

قال تعالى : ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ

تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَةَ

لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٩﴾ ، ﴿ إِنَّهُ مِنْ يَتَقٍ وَيَصْبِرٍ فَإِنَّ اللَّهَ لَا

يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٠﴾ .

إذا أبقت الدنيا على المرء دينه

فما فاته منها فليس بضائر



٥. خامسا: حسن الخلق:

أيها المحتسب الكريم: أنعم الله بك عينا، اعلم علمت الخير أن الإسلام يدور على أمور أربعة: عقيدة ومنهاج وشريعة وأخلاق. أما الشريعة والمنهاج فيقول تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾، أما العقيدة: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، أما الخلق فلقوله عليه الصلاة والسلام: «إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه» [الحديث].

إن من أعظم أسباب قوة الإسلام قوة أخلاق أتباعه وتربية الإسلام لهم تربية مثالية، فقد روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس أن أبا سفيان بن حرب أخبره أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش كانوا تجاراً بالشام في المدة التي كان رسول الله، ﷺ، هاداً فيها أبا سفيان وكفار قريش فأتوه وهم بإيلياء فدعاهم وحوله عظماء الروم ثم دعاهم فدعا بالترجمان فقال: أيكم

أقرب نسبًا بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ قال أبو
سفيان: فقلت أنا أقربهم، فقال: أدنوه مني وقربوا
أصحابه فاجعلوهم عند ظهره، ثم قال لترجمانه قل لهم
إني سائل هذا الرجل فإن كذبني فكذبوه فوالله لولا
الحياء من أن يأتروا عليّ كذبا لكذبت ثم كان أول ما
سألني عنه أن قال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو فينا
ذو نسب، قال فهل قال هذا القول منكم أحد قط
قبله؟ قلت لا، قال فهل كان من آبائه من ملك؟
قلت: لا، قال فأشرف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟
قلت: ضعفاؤهم، قال أيزيدون أم ينقصون؟ قلت:
بل يزيّدون، قال: فهل يرد أحد منهم سخطة لدينه
بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا، قال: فهل تتهمونه
بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا، قال: فهل
يغدر؟ قلت: لا، ونحن منه في مدة لا ندري ما هو
فاعل فيها، ولم يُمكنني كلمة أدخل فيها شيئًا غير هذه
الكلمة. قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم، قال:
فكيف كان قتالكم إياه؟ قلت: الحرب بيننا وبينه

سجّال، ينال منا وننال منه، قال: فماذا يأمركم؟ قلت:
يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً واتركوا ما
كان يعبد آباؤكم ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف
والصلة» [الحديث].

وكما قيل والحق ما نطقت به الأعداء، يقول
مرماديوك باكتول: «إن المسلمين يمكنهم أن ينشروا
حضارتهم في العالم الآن بنفس السرعة التي نشروها
سابقاً بشرط أن يرجعوا إلى الأخلاق التي كانوا عليها
حين قاموا بدورهم الأول لأن هذا العالم الخاوي لا
يستطيع الصمود أمام روح حضارتهم» . .

أيها المحتسب الكريم: إن أعظم الناس وجوباً عليه
أن يتحلى بالخلق القويم هو أنت يا زينة الأرض،
وكيف لا وأنت تمارس قضية إرشاد العباد والأخذ على
أيديهم وهدايتهم إلى الصراط المستقيم هداية إرشاد،
فكيف يتقبل الناس منك الحق وأنت لم تعط الخلق
القويم حقه.

يا من يريد الجنة ويطلبها، يا من يريد الفردوس ويسعى لها، يقول النبي ﷺ: «أنا زعيم بيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محققًا، وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا، وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه» [الطبراني عن ابن عمر].

يا من انشغلت بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن الصيام - النفل - والناس يصومون، يا من انشغلت بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن قيام الليل والناس يقومون، أبشر بإدراك ذلك إذا حسن خلقك، عن عائشة قالت: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم»، أبو داود وابن حبان والحاكم.

أيها المحتسب الكريم: ما معنى الخلق، قال الجوهري الخلق والخلق السجية، وفلان يتخلق بغير خلقه أي يتكلفه، قال الشاعر:

يا أيها المتحلي غير شيمته
إن التخلق يأتي دونه الخلق

وفي النهاية الخلق بضم اللام وسكونها الدين والطبع
والسجية، وحقيقته أنه لصورة الانسان الباطنة وهي
نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخلق
لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها وهي أوصاف حسنة
وقيحة والثواب والعقاب مما يتعلقان بأوصاف الصورة
الباطنة أكثر مما يتعلقان بأوصاف الصورة الظاهرة ولهذا
تكررت الأحاديث في مدح حسن الخلق في غير موضع .
ا - هـ .

ولهذا كان يقول عليه الصلاة والسلام : «اللهم كما
حَسَّنْتَ خَلْقِي، فَحَسِّنْ خُلُقِي»، وفي دعاء الاستفتاح
الطويل عند مسلم عن علي أن النبي، ﷺ، كان
يقول : «واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا
أنت» .

قال أبو بكر البيهقي : ومعنى حسن الخلق سلامة
النفس نحو الأرفق الأحمد من الأفعال، وقد يكون ذلك
في ذات الله تعالى وقد يكون فيما بين الناس . ا - هـ .
أيها المحتسب الكريم : لقد ورد في مدح حسن

الخلق وذم سوء الخلق عدة آيات وأحاديث نذكر منها طرفاً صالحاً:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكَلَّ عَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ، فما بالك رحمك الله بشيء يستعظمه الحق جلّ شأنه .

وقال المولى الكريم: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ ، وقال تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ .

وفي صحيح مسلم عن عائشة أنها سُئِلَتْ عن خلق رسول الله ، ﷺ ، قالت: [كان خلقه القرآن] ، أي كان مستمسكاً بأدابه وأوامره ونواهيه وما يشتمل عليه من مكارم الأخلاق ومحاسن الأمور عليه الصلاة والسلام .

وأخرج مسلم والترمذي عن النّوّاس بن سَمْعَانَ قال سألت رسول الله ، ﷺ ، عن البرِّ والإِثم فقال: «البرُّ حُسنُ الخُلُقِ ، والإِثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس» .

وفي الصحيحين والترمذي عن عبد الله بن عمرو قال لم يكن رسول الله ، ﷺ ، فاحشاً ولا متفحشاً ، وكان

يقول: «إن خياركم أحسنكم أخلاقاً».

وأخرج الترمذي عن أبي الدرداء عن النبي ، ﷺ ، قال: «ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حُسن الخلق وإن صاحب حُسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة».

وأخرج أحمد وأبوداود عنه عليه الصلاة والسلام: «ما من شيء في الميزان أثقل من حُسن الخلق».

وعند الترمذي والبيهقي عن أبي هريرة، قال سئل رسول الله ، ﷺ ، عن أكثر ما يدخل الناس الجنة، فقال: «تقوى الله وحُسن الخلق».

وعن أبي هريرة أن رسول الله ، ﷺ ، قال: «إنها بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

ولقد قال الأئمة الأعلام في الخلق كلاماً نفيساً نسوق بعضاً منه:

قال ابن القيم: الدين كله خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين، وقد قيل: إن حُسن الخلق بذل الندي وكف الأذى واحتمال الأذى، وقيل: حُسن

الخلق بذل الجميل وكف القبيح ، وقيل : حُسن الخلق
التخلي عن الرذائل والتحلي بالفضائل . قال ابن عمر :
البر وجه طلق وكلام لين . .

أكرم بذى أدب أكرم بذى حسب
فإنما العزم فى الاحساب والأدب
والناس صنفان ذو عقل وذو أدب
كمعدن الفضة البيضاء والذهب

وسائر الناس من بين الورى همج
كانوا موالى أو كانوا من العرب

قال ابن حبان : الأدب صاحب فى الغربه ومؤنس فى
القلة وزين فى المحافل وزيادة فى العقل ودليل على
المروءة ، ومن استفاد الأدب فى حدائته انتفع به فى كبره
لأن من غرس فسيلاً يوشك أن يأكل من رطبها .

أيها الطالب فخرًا بالنسب
إنما الناس لأم وأب

هل تراهم خلقوا من فضة
أو حديد أو نحاس أو ذهب؟
أو ترى فضلهم في خلقهم
هل سوى لحم وعظم وعصب؟
إنما الفضل بحلم راجح
وبأخلاق كرام وأدب
ذاك من فاخر في الناس به

فاق من فاخر منهم وغلب
قال ابن عطاء: الأدب الوقوف مع المستحسنات،
فقل وما معناه قال أن تعامل الله تعالى بالأدب سرّاً
واعلاناً فإذا كنت كذلك كنت أديباً وإن كنت أعجمياً .
سُئل ابن سيرين أي الآداب أقرب إلى الله؟ فقال:
معرفة ربوبيته وعمل بطاعته والحمد لله على السراء
والصبر على الضراء .

قال بعضهم: ما ورثت الآباء الأبناء شيئاً أفضل
من الأدب، إنها إذا ورثتها الآداب كسبت بالآداب
الأموال والجاه والايخوان والدين والدنيا والآخرة، وإذا

ورثتها الأموال تلفت الأموال وقعدت عدماً من الأموال
والآداب .

السبع سبع ولو كَلَّتْ مخالبه
والكلب كلب ولو بين السباع ربي
وهكذا الذهب الأبريز خالطه
صفر النحاس وكان الفضل للذهب
لا يعجبنيك أثواب على رجل

دع عنك أثوابه وانظر إلى الأدب
فالعود لو لم تفح منه روائحه
لم يفرق الناس بين العود والخطب
وليس يسود المرء إلا بنفسه

وإن عدّ آباء كراماً ذوي حسب
إذا العود لم يثمر ولو كان شعبة
من المثمرات اعتده الناس من حطب

قيل للحسن البصري: قد أكثر الناس في علم
الأدب فما أنفعها عاجلاً وأفضلها آجلاً؟. فقال:
التفقه في الدين فإنه يصرف إليه قلوب المتعلمين،
والزهد في الدنيا فإنه يُقربك إلى رب العالمين، والمعرفة
بما لله تعالى عليه يحويها كمال الإيمان.

أيها الطالب الحريص تعلّم
إن للحق مذهباً قد ضللتَه
ليس يُجدي عليك علمك إن لم
تَك مستعملاً لما قد علّمته
قد لعمرى اغتربت في طلب العلم
وحاولت جمعه فجمعته
ولقيت الرجال فيه وزاحمت
عليه الجميع حتى سمعته
ثم ضيّعت أو نسيت وما
ينفع علم نسيته أو أضعته
وسواءً عليك علمك إن لم
يُجد نفعاً عليك أم جهلته

كم إلى كم تخادع الفضل جهلاً
 ثم تُجري خلاف ما قد عرفته
 تصف الحق والطريق إليه
 فإذا ما عملت خالفت سمته
 روي عن المبارك قال: نحن إلى قليل من الأدب
 أحوج منا إلى الكثير من العلم.
 ولم أر فضلاً تم إلا بشيمة
 ولم أر عقلاً صح إلا على أدب
 ولم أر في الأعداء حيث أخبرتهم
 عدواً لعقل المرء أعدى من الغضب
 أخي المحتسب: هل حُسن الخلق كسبي أم
 جبلي؟
 يقول الشيخ عدنان عرعور: إن حُسن الخلق يكون
 بعد هداية الله بالفطرة والقدوة الحسنة. ا - هـ.
 اعلم علمت الخير ان حُسن الخلق يقوم على خمسة
 أركان لا يتصور قيام ساقه إلا عليها:

- الأول : العلم .

- الثاني : الصبر :

إني رأيت وفي الأيام تجربة
للصبر عاقبة محمودة الأثر
وقل من جد في أمرٍ يحاوله
فاستصحب الصبر إلا فاز بالظفر

لولا الصبر لما حصد الزارع بذره ، ولا جنى الفارس
ثمره ، الصبر يحمله على الاحتمال وكظم الغيظ وكف
الأذى والحلم والأناة والرفق وعدم الطيش والعجلة .

- الثالث : العفة : تحمله على اجتناب الرذائل والقبائح
من القول والفعل وتحمله على الحياء وهو رأس كل خير
وقمعه من الفحشاء والبخل والكذب والغيبة والنميمة .
- الرابع : الشجاعة : تحمله على عزّة النفس وإيثار
معالي الأخلاق والشيم وعلى البذل والفدى الذي هو
شجاعة النفس وقوتها على إخراج المحبوب ومفارقته . .

تراه إذا ما جئته متهللاً

كأنك تعطيه الذي أنت سائله

فلو لم يكن في كفه غير روحه

لجاد بها فليتنق الله سائله

هو البحر من أي النواحي أتيته

فلجته المعروف والجود ساحله

والشجاعة تحمله على كظم الغيظ والحلم فإنه بقوة

نفسه وشجاعته يمسك عنانها ويكبحها بلجامها عن

النزع والبطش كما قال النبي ، ﷺ ، : «ليس الشديد

بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند

الغضب» .

وهو حقيقة الشجاعة وهي ملكة يقتدر بها العبد على

قهر خصمه .

- خامساً: العدل : يحمله على اعتدال أخلاقه وتوسطه

فيها بين طرفي الإفراط والتفريط، فيحمله على خلق

الجود والسخاء الذي هو توسط بين الذل والقحة، وعلى

خلق الشجاعة الذي هو توسط بين الجبن والتهور،

وعلى خلق الحلم الذي هو توسط بين الغضب والمهانة
وسقوط النفس .

وبالمقابل فإن سوء الخلق مداراة على أربعة أمور :

- الأول : الجهل : يريك الحسن في صورة القبيح
والعكس يريك صورة القبيح في صورة الحسن والكمال
نقصاً والنقص كمالاً .

- الثاني : الظلم : يحمله على وضع الشيء في غير
موضعه .

- الثالث : الشهوة : تحمله على الحرص والشح والبخل
وعدم العفة والنهمة والجشع والذل والدناءات كلها .

- الرابعة : الغضب : يحمله على الكبر والحقْد والحسد
والعدوان والسفه .

وبالجملة فإن النفس تنكشف بين أمرين بين إفراط
وتفريط والسُّنة في الوسط ، فعلى سبيل المثال إذا
انحرفت عن خلق الرحمة انحرفت إما إلى قسوة وإما
إلى ضعف قلب وجبن كمن لا يقدم على ذبح شاة ولا
إقامة حد وتأديب ولد ويزعم أن الرحمة تحمله على ذلك

وقد ذبح أرحم الخلق بيده في موضع واحد ثلاثاً وستين
بدنة، وقطع الأيدي من الرجال والنساء وضرب
الأعناق وأقام الحدود ورجم بالحجارة حتى مات
المرجوم، وكان أرحم خلق الله على الإطلاق وأرأفهم،
وكذلك طلاقة الوجه والبشر المحمود فإنه توسط بين
التعبيس والتقطيب وتصعير الخد وطبي البشر عن البشر
وبين الاسترسال بذلك مع كل أحد بحيث يذهب
الهيبة ويزيل الوقار ويطمع في الجانب كما أن الانحراف
الأول يوقع الوحشة والبغض والنفرة في قلوب الخلق
وصاحب الخلق الوسط مهيب محبوب عزيز جانبه
حبيب لقاءه.



سادسًا: الجهاد

قال الأستاذ سليم الهلالي: الجهاد في سبيل الله ذروة سنام الإسلام، وهو فرض عين على كل مسلم؛ إما بالقلب، أو باللسان، أو بالمال، أو باليد، أو جميعًا. والمسلم يجاهد بنوع من هذه الأنواع؛ حسب قدرته، وطاقته، وموقعه.

وأخبر الله - سبحانه وتعالى - أنه: ﴿أَشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾ [التوبة: ١١١].
وأعاضهم عليها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ سُبُلَ اللَّهِ أَدْعَى اللَّهُ إِلَى الْكُفْرِ وَلَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرَهُ وَلَا تَقْرَبُوا مَوْلَى ذِي الْحِزْبِ ذَٰلِكُمْ يَكُونُ حَقًّا فِي الْوَعْدِ وَأَكْبَرُ لَمْ يَكُنِ اللَّهُ يَجْعَلْ سُبُلَ اللَّهِ مُبْتِغًى لِلدُّنْيَا وَلَئِنَّ الْآخِرَةَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ هُمْ عَنْ حُبِّ الدُّنْيَا مُرْسَوِينَ أُولَٰئِكَ يَجْزِي اللَّهُ أَمْرَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [التوبة: ١١١].
وأكدّه وبشّرهم: ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

فليتأمل العاقد مع ربه هذه الصفة ما أعظم
خطرها، وما أجل أمرها، فإن الله - جلّ وعزّ - هو الذي
اشترى، والثلثن جنات النعيم، والفوز المقيم، والذي
جرى على يده هذا العقد: أشرف رُسله، وأكرمهم عليه
من الملائكة والبشر، وإن سلعة هذا شأنها لقد هيئت
لأمر عظيم، وخطب جسيم.

ولما كثر المدّعون؛ طولبوا بإقامة البيّنة على صحة
دعواهم، فلو يُعطى الناس بدعواهم؛ لفسدت
السموات والأرض وما بينهما.

وتنوّع المدّعون بالشهود، ف قيل لهم: لا تقام البيّنة،
ولا تثبت الدعوى، ولا يصح البرهان؛ إلا بشهادة:

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [آل

عمران: ٣١].

فتأخرت الخلائق كلها، وثبت أتباع الرسول ﷺ،
الذين درجوا على أثره في العقيدة والسلوك والتربية،
وفهموا كتاب الله، وسُنّة رسوله، بفهم الصحابة - رضي
الله عنهم - ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وعندئذِ طوبوا بعدالة الشهادة، وقيل: لا تثبت
العدالة إلا بتزكية: ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ
لَا يُعْرَبُ﴾ [المائدة: ٥٤].

لقد حرك داعي الله النفوس الأبية، والهيم العالية:
فَحِيَّهَا إِنْ كُنْتَ ذَا هِمَّةٍ فَقَدْ
حَدَا بِكَ حَادِي الشُّوقِ فَاطُوا المَرَا حِلَا
فَهَيَّءْ نَفْسَكَ أَيُّهَا الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ:
قَدْ هَيَّوْكَ لِأَمْرٍ لَوْ فَطَنْتَ لَهُ

فَارْبَأْ بِنَفْسِكَ أَنْ تَرَعَى مَعَ الْهَمَلِ
واعلم أن الطائفة المنصورة؛ لا تبرح تقاتل على
الدين، حتى يأتي أمر الله وهي كذلك، فاسلك سبيلها
واهتد بدليلها: كتاب الله وسنة رسوله، ﷺ، بفهم خير
القرون؛ من الصحابة الأكرمين، والتابعين لهم بإحسان
إلى يوم الدين؛ لتفوز بالجنة، وتنجو من النار، يوم يقال
للفرق الهالكة: ادخلوا النار مع الداخلين.

ولكن! اعلم أن سلعة الله غالية، وأن مهرها بذل
النفس والنفيس لملكهما الذي اشتراها من المؤمنين.

وَأَيْمَ اللَّهِ إِنَّهَا مَا هَزَلْتُ حَتَّى يَسْتَامَهَا الْمَفْلِسُونَ
الْمَعْرُضُونَ الْجَبْنَاءَ، وَمَا كَسَدَتْ حَتَّى يَبْتَاعَهَا نَسِئَةُ
الْمُعْسِرُونَ الْمَفْلِسُونَ.

لَقَدْ أُقِيمَتْ لِلْعَرْضِ فِي السُّوقِ لِمَنْ يَرِيدُ، وَقِيلَ:
هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ فَلَمْ يَرْضَ رَبُّهَا لَهَا بِثَمَنٍ دُونَ بَذْلِ حَبْلِ
الْوَرِيدِ.

وَلَمَّا كَانَ الْجِهَادُ هُوَ بَذْلُ الْوَسْعِ فِي حَصُولِ مَحْبُوبِ
الْحَقِّ، وَدَفْعُ مَا يَكْرَهُهُ الْحَقُّ، فَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛
لِإِقْرَارِ مَنْهَجِ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، وَلِيَكُونَ الدِّينُ كُلَّهُ لِلَّهِ؛
لِتَحْقِيقِ الْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ وَالنِّمَاءِ... هُوَ صِفَةُ الطَّائِفَةِ
الْمَنْصُورَةِ الَّتِي صَنَعَهَا اللَّهُ عَلَى عَيْنِهِ، وَاسْتَعْمَلَهَا
بَطَاعَتَهُ.

إِنَّهَا تَجَاهَدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، لَا فِي سَبِيلِ قَوْمِهَا، أَوْ
نَفْسِهَا، أَوْ وَطَنِهَا.. فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛ لِتَحْقِيقِ مَنْهَجِ اللَّهِ،
وَتَنْفِيزِ شَرِيعَتِهِ.. لَيْسَ لَأَنْفُسِهِمْ حِظٌّ، إِنَّمَا هُوَ لِلَّهِ
وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ.

لِذَلِكَ، فَهَمُّ لَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ.. وَفِيمَ الْخَوْفِ

من لوم الناس ، وهم قد ضمنوا حب رب الناس ؟ وفيهم
الوقوف عند مألوف الناس ، وعرف البشر ، وهم يتبعون
السُّنة ، ويبتغون العِزة ، ويعرضون منهج الله للحياة ؟ .
إنما يخشى الناس ولومهم من يستمد مقاييسه
وأحكامه وحركته من أهواء الناس ، أما من يعود إلى
موازين الله ؛ ليجعلها المسيطرة المحركة الدافعة لأهواء
البشر ، وشهواتهم ، وقيمهم ، فما يبالي ما يقول الناس ،
وما يفعلون ، كائنًا هؤلاء الناس مَنْ كانوا ، وكائنًا واقع
الناس ما كان .

إنها سِمَة المؤمنين المحبين لله ورسوله ، ﷺ . . إنه
الاطمئنان إلى الله يملأ قلوبهم ، يحذوهم إلى الجهاد في
سبيل الله بكل أنواعه ، وأشكاله ، ودرجاته . . . وذلك
فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .



سابعاً: تباشير للاخوة المحتسبين ولو صدقوا الله لكان خيراً لهم

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ، : «إن رجلاً من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يُسلفه ألف دينار، فقال: ائني بالشهداء أشهدهم، فقال: كفى بالله شهيداً، قال: فائني بالكفيل، قال: كفى بالله وكفيلاً. قال: صدقت. قال فدفعتها إليه إلى أجل مسمى، فخرج إلى البحر فقضى حاجته، ثم التمس مركباً يركبها يقدم عليه، للأجل الذي أجله، فلم يجد مركباً. فأخذ خشبة فنقرها فأدخل فيها ألف دينار، وصحيفة منه إلى صاحبه، ثم زج موضعها، ثم أتى إلى البحر، فقال: اللهم إنك تعلم أني تسلفت فلاناً ألف دينار، فسألني كفيلاً، فقلت: كفى بالله وكفيلاً، فرضى بك وسألني شهيداً، فقلت: كفى بالله شهيداً، فرضى بك، وإني جهدت

أن أجد مركبا أبعث إليه الذي له ، فلم أجد ، وإني أستودعكها ! فرمى بها إلى البحر ، حتى ولجت فيه ، ثم انصرف وهو في ذلك يلتمس مركبا يخرج إلى بلده ، فخرج الرجل الذي كان أسلفه ، ينظر لعل مركبا قد جاء بهاله ، فإذا بالخشبة التي فيها المال ، فأخذها لأهله حطبا ، فلما نشرها وجد المال والصحيفة ، ثم قدم الذي كان أسلفه ، فأتى بالألف دينار ، وقال : والله ما زلت جاهدا في طلب مركب لآتيك بهالك ، فما وجدت مركبا قبل الذي أتيت فيه . قال : هل كنت بعثت إلي شيئا ؟ ! قال : أخبرك أني لم أجد مركبا قبل الذي جئت فيه . قال : فإن الله قد أدى عنك الذي بعثت في الخشبة ، فانصرف بالألف دينار راشداً .

هذا حديث صحيح ، أخرجه البخاري وأحمد في «مسنده» .

أيها المحتسب لا تقنط من رحمة الله

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ،

ﷺ، : «كان رجل يسرف على نفسه، لما حضره الموت قال لبنيه: إذا أنا مت فاحرقوني، ثم اطحنوني، ثم ذروني في الريح، فوالله لئن قدر الله عليّ ليعذبني عذاباً ما عذبه أحداً. فلما مات فُعل به ذلك، فأمر الله الأرض، فقال: اجمعي ما فيك، ففعلت، فإذا هو قائم، فقال: ما حملك على ما صنعت؟! قال: خشيتك يا رب! - أو قال: مخافتك - فغفر له».

هذا حديث صحيح، متفق عليه. وفي الباب عن أبي سعيد الخدري، وحذيفة بن اليمان، وأبي مسعود البدر، رضي الله عنهم.

عظم جرم القول على الله بغير علم

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله، ﷺ، : «كان رجلان في بني إسرائيل متواخيان، وكان أحدهما مذبناً، والآخر مجتهداً في العبادة، وكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب، فيقول: أقصر. فوجده يوماً على ذنب، فقال له: أقصر. فقال: خلّني

وربي، أبعثت عليّ رقيباً؟! فقال: والله لا يغفر الله لك!، أو: لا يدخلك الله الجنة. فقبض روحهما، فاجتمعا عند رب العالمين. فقال لهذا المجتهد: أكنت بي عالماً، أو كنت على ما في يدي قادراً؟. وقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: اذهبوا به إلى النار»..

هذا حديث صحيح، أخرجه أبو داود، وأحمد.

زاد المحتسبين

عن الحارث الأشعري، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله، ﷺ: «إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات يعمل بهن، ويأمر بني إسرائيل يعملون بهن؛ وإن عيسى ابن مريم قال له: إن الله أمرك بخمس كلمات تعمل بهن، وتأمر بهن بني إسرائيل يعملون بهن، فإما أن تأمرهم، وإما أن آمرهم؟ قال: إنك إن تسبقني بهن خشيت أن أعذب أو يخسف بي. قال: فجمع الناس في بيت المقدس حتى امتلأ، وقعد الناس

على الشرفات، قال: فوعظهم، قال: إن الله أمرني
بخمس كلمات أعمل بهن، وأمركم أن تعلموا بهن.
أولاهن: أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وإن مثل
من أشرك بالله كمثّل رجل اشترى عبداً من خالص ماله
بذهب أو ورق. قال: هذه داري، وهذا عملي،
فاعمل وأدّ إليّ، فجعل يعمل ويؤدي إلى غير سيده،
فأيكم يسره أن يكون عبده كذلك؟! وإن الله خلقكم
ورزقكم فلا تشركوا به شيئاً، وأمركم بالصلاة، فإذا
صليتم فلا تلتفتوا. وأمركم بالصيام. وإن مثل ذلك
كمثّل رجل كانت معه صُرّة فيها مسك، ومعه عصا به
كلهم يُعجبه أن يجد ريحها، وإن الصيام أطيب عند الله
من ريح المسك. وأمركم بالصدقة، وإن مثل ذلك
كمثّل رجل أسره العدو، وقاموا إليه فأوثقوا يده إلى
عنقه، فقال: هل لكم أن أفدي نفسي منكم؟ قال:
فجعل يعطيهم القليل والكثير ليفك نفسه منهم.
وأمركم بذكر الله كثيراً وإن مثل ذلك كمثّل رجل طلبه
العدو سراعاً في أثره حتى أتى على حصن حصين

فأحرز نفسه فيه، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله».

وقال رسول الله، ﷺ، : «وأنا آمركم بخمس أمرني الله بهن: الجماعة، والسمع، والطاعة، والهجرة، والجهاد في سبيل الله. فمن فارق الجماعة قيد شبر خلع الإسلام من رأسه إلا أن يرجع. ومن دعا بدعوى الجاهلية، فإنه من جثى جهنم».. قيل: وإن صام وصلى؟ قال: «وإن صام وصلى، فادعوا بدعوى الله الذي سماكم المسلمين المؤمنين عباد الله».

هذا حديث صحيح، أخرجه الترمذي، والنسائي، وبعضه، وأحمد، وابن حبان، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي. وقال الترمذي «حسن صحيح».

صور من ابتلاءات من قبلنا

عن خَبَّاب بن الأرت، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله، ﷺ، : «كان الرجل قبلكم يؤخذ، فيحفر له في الأرض، فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع على

رأسه، فيشق باثنتين، ما يصدده ذلك عن دينه، ويُمَشِّط
بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، ما
يصدده ذلك عن دينه. والله ليتمن الله هذا الأمر، حتى
يسير الراكب من صنعاء إلى حضر موت، لا يخاف إلا
الله، والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون»..
هذا حديث صحيح، أخرجه البخاري، وأبو داود،
والنسائي، وغيرهم.

الصبر كاسمه مر مذاقته

لكن عواقبه أحلى من العسل

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول
الله، ﷺ: «إن نبي الله أيوب كان في بلائه ثماني عشرة
سنة، فرفضه القريب والبعيد، إلا رجلاً من اخوانه،
كانا من أخصّ إخوانه، كانا يغدوان إليه ويروحان
إليه. فقال أحدهما لصاحبه: أتعلم - والله - لقد أذنب
أيوب ذنباً ما أذنبه أحد. قال صاحبه: وما ذاك؟
قال: منذ ثماني عشرة سنة لم يرحمه الله فيكشف عنه؟!

فلما راحا إليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له ، فقال
أيوب : لا أدري ما يقول غير أن الله يعلم أني كنت أمر
على الرجلين يتنازعان فيذكران الله ، فأرجع إلى بيتي
فأكفر عنهما كراهية أن يذكر الله إلا في حق ! قال :
وكان يخرج إلى حاجته ، فإذا قضى حاجته أمسكت
امرأته بيده حتى يبلغ . فلما كان ذات يوم أبطأ عليها .
وأوحى إلى أيوب في مكانه أن : ﴿ اَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسِلٌ
بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾ [ص : ٤٢] ، فاستبطأته ، فلقيته
ينتظر ، وأقبل عليها قد أذهب الله ما به من البلاء ، وهو
على أحسن ما كان . فلما رآته قالت : أي بارك الله
فيك ، هل رأيت نبي الله هذا المبلى ، والله على ذلك
ما رأيت أحداً أشبه به منك إذ كان صحيحاً ! . قال :
فإني أنا هو ! .

وكان له أندران ؛ أندر للقمح ، وأندر للشعير ،
فبعث الله سحابتين ، فلما كانت إحداهما على أندر
القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض ، وأفرغت
الأخرى على أندر الشعير الورق حتى فاض . .

هذا حديث صحيح، أخرجه ابن حبان، وأبو
يعلى، والبخاري، وغيرهم. وصححه الحاكم ووافقه
الذهبي.

﴿ وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها
السموات والارض اعدت للمتقين ﴾ . .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: إن أناسًا
في زمن رسول الله، ﷺ، قالوا: يا رسول الله! هل نرى
ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله، ﷺ،: «نعم»،
قال: هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحوا
ليس معها سحب؟!، وهل تضارون في رؤية القمر
ليلة البدر صحوا ليس فيها سحب؟، قالوا: لا يا
رسول الله!. قال: ما تضارون في رؤية الله تبارك
وتعالى يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما. إذا
كان يوم القيامة أذن مؤذن: ليتبع كل أمة ما كانت
تعبد، فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله سبحانه من
الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار. حتى إذا لم

يبقى إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر، وَغُيِّرَ أَهْلُ
الكتاب. فيدعى اليهود فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟،
قالوا: كنا نعبد عزير ابن الله. فيقال: كذبتُم، ما اتخذ
الله من صاحبة ولا ولد. فماذا تبغون؟ قالوا: عطشنا يا
ربنا!، فاسقنا. فيشار إليهم: ألا تردون؟ فيحشرون
إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضا، فيتساقطون
في النار. ثم يدعى النصارى، فيقال لهم: ما كنتم
تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد المسيح ابن الله. فيقال لهم:
كذبتُم، ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فيقال لهم:
ماذا تبغون؟ فيقولون: عطشنا يا ربنا!، فاسقنا. قال:
فيشار إليهم: ألا تردون؟ فيحشرون إلى جهنم كأنها
سراب يحطم بعضها بعضا، فيتساقطون في النار، حتى
إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله تعالى من بر وفاجر،
أتاهم رب العالمين سبحانه وتعالى في أدنى صورة من
التي رأوه فيها. قال: فماذا تنتظرون؟ تتبع كل أمة ما
كانت تعبد. قالوا: يا ربنا! فارقنا الناس في الدنيا أفقر
ما كنا إليهم ولم نصاحبهم. فيقول: أنا ربكم.

فيقولون: نعوذ بالله منك، لا نشرك بالله شيئاً - مرتين
 أو ثلاثاً - حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب. فيقول:
 هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها؟ فيقولون: نعم.
 فيكشف عن ساق. فلا يبقى من كان يسجد لله من
 تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود، ولا يبقى من كان
 يسجد اتقاءً ورياءً إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة،
 كلما أراد أن يسجد خر على قفاه. ثم يرفعون
 رؤوسهم، وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول
 مرة. فقال: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا. ثم
 يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة، ويقولون:
 اللهم سلِّم سلِّم.. قيل: يا رسول الله! وما الجسر؟
 قال: دحض مزلة، فيه خطاطيف وكلاليب وحسك.
 تكون بنجد، فيها شويكة يقال لها: السعدان. فيمر
 المؤمنون كطرف العين، وكالبرق، وكالريح، وكالطير،
 وكأجاويد الخيل، والركاب. فَنَاجٍ مُسَلِّمٌ، ومخدوش
 مرسل، ومكدوس في نار جهنم. حتى إذا خلاص
 المؤمنون من النار، فوالذي نفسي بيده! ما منكم من

أحد بأشد مناشدة لله في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لآخوانهم الذين في النار. يقولون: ربنا! كانوا يصومون معنا، ويصلون، ويحجون. فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم، فتحرم صورهم على النار، فيخرجون خلقاً كثيراً قد أخذت النار إلى نصف ساقه، وإلى ركبتيه. ثم يقولون: ربنا! ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به. فيقول: ارجعوا. فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير، فأخرجوه. فيخرجون خلقاً كثيراً ثم يقولون: ربنا! لم نذر فيها أحد ممن أمرتنا. ثم يقول: ارجعوا، فمن وجدتم في قلبه نصف دينار من خير، فأخرجوه. فيخرجون خلقاً كثيراً. ثم يقولون: ربنا! لم نذر فيها مما أمرتنا أحداً. ثم يقول: ارجعوا، فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه. فيخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقولون: ربنا! لم نذر فيها وكان أبو سعيد يقول: إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقروا إن شئتم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظِلُّ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُّضَعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾. فيقول

الله عز وجل : شفعت الملائكة ، وشفع النبيون ، وشفع المؤمنون ، ولم يبق إلا أرحم الراحمين . فيقبض قبضة من النار ، فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط ، قد عادوا حمما ، فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة ، يقال له : نهر الحياة ، فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل . ألا ترونها تكون إلى الحجر أو الشجر ، ما يكون إلى الشمس أصيفر وأخضر ، وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض؟! . فقالوا : يا رسول الله ! كأنك كنت ترعى بالبادية ! قال : فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم ، يعرفهم أهل الجنة ، هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ، ولا خير قدموه . ثم يقول : ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم . فيقولون : ربنا ! أعطينا ما لم تعط أحدا من العالمين . فيقول : لكم عندي أفضل من هذا . فيقولون : يا ربنا ! أي شيء أفضل من هذا؟ . فيقول : رضاي . فلا أسخط عليكم بعده أبدا» .

هذا حديث صحيح ، متفق عليه ، واللفظ لمسلم .

أخي المحتسب الكريم هذه تباشير سقتها لك من
كتاب صحيح القصص النبوي للأخ الشيخ الفضال
أبو اسحاق الحويني حفظه الله تعالى . .

أخي المحتسب: أنعم الله بك عينا، إني وإن أطلت
عليك في هذه الرسالة فذلك لفرط حبي لك وأيم الله
أريدك يا زينة الأرض أن تكون مثالياً واقعياً، أريدك ألا
ينتقصك أحداً بسوء، فإن أهل الشر لك بالمرصاد
يتتبعون أخطائك ويحاولون كشف عوراتك، فلا تجعل
لهم من نفسك نصيباً، وكُن متحلياً بالخلق القويم
والمنهج المستقيم حتى إذا رأوك الناس قالوا متعجبين:
حاشا لله ما هذا خلق بشر، إن هذا إلا خلق نبي كريم
ولا غرابة .

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ
وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ . .



وأَسْأَلُ اللهَ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ أَنْ تَجِدَ عِنْدَهُ الْقَبُولَ ثُمَّ عِنْدَ
خَلْقِهِ وَأَنْ يَنْفَعَهَا بِهَا وَأَنْ أَرَى نَفْعَهَا فِي الدُّنْيَا وَأَنْ يُوفِّيَنِي
أَجْرَهَا فِي الْآخِرَةِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . .

وكتب وليد بن عثمان الرشودي

٢١ / ١٠ / ١٤١١ هـ

الرياض

ص.ب: ١٩١٧ - الرمز البريدي: ١١٤٤١



الناشر

دار الجبالين للنشر والتوزيع

توزيع:

مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان

ص.ب ١٤٠٥ رمزالبريدي ١١٤٣١ الرياض

تلفون ٤٠٢٢٥٦٤ فاكس ٤٠٢٣٠٧٦

للطباعة الالكترونية

تلفون ٤٧٨٣٥٨٢ فاكس ٤٧٧٩٨٨٣